

فان هذه الجثث ليست بشئ* ، وإنما الأرواح عند الله تعالى ، ثم قال : وروينا عن ابن الزبير أنه قال لامه أسماء قبل قتله : يا أماء ، إن قتلت فأنا لحم لا يضر ما صنع بي * وروى خالد بن معدان قال : لما قتل هشام بن العاص يوم أجنادين ، وقع على قلعة فسدها ، ولم يكن ثم طريق غيره ، فلما انتهى المسلمون إليه هابوه أن يوطئوه الخليل ، فقال عمرو بن العاص : أبها الناس إن الله قد استشهد ورفع روحه ، وإنما هو جثة فأوطئوه الخليل ، ثم أوطأه هو وتبعه الناس حتى قطعوه . وإذا ثبت هذا ، فإن الله تعالى إذا أتلف هذا البدن الترابي وأبلاه المعرض للآفات ، فإنه سيعيده بذنا لا يبلى ، في حياة لا تنفذ أبداً ، وتبديل صعوبات التكليف بحسن الجزاء ، ويعطيهم أجوراً باقية عن أعمال منقطعة ، كما لا يبق لمرات الشعث والتكليف في أيام الاحرام ، طعم عند أيام التشريق . والله تعالى الموفق *

﴿ الباب السابع والعشرون ﴾

(في عد الشهداء وفضلهم وأنهم أرفع درجات من الصالحين)

قال تعالى : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) قال قتادة : قال بعض أصحاب رسول الله ﷺ : كيف يكون الحال في الجنة وأنت في الدرجات العلى ، ونحن أسفل منك فكيف نراك ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية (ومن يطع الله) في إداء الفرائض (والرسول) في السنن (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين) أي لا تفوتهم رؤية الانبياء ومحاسنهم . فاعل درجات بنى آدم الانبياء ، ثم الصديقون ، ثم الشهداء ، ثم الصالحون ، وهذا ترتيب لاشك فيه ، لأن الله تعالى رتبهم في الذكر ، قدم الانبياء ، ثم الا ، مثل فالأمثل في المراتب والمنازل . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه : أن النبي ﷺ قال : « ما من نفس تموت لها عند الله خير أنها ترجع الى

الدنيا ولا أن لها الدنيا وما فيها الا الشهيد » الحديث هذا من صرائح الأدلة في عظم فضل الشهادة . وعن سهل ابن حنيف رضى الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه » رواه مسلم في صحيحه . وفي مسلم أيضا من حديث أنس أن النبي ﷺ قال : « من طلب الشهادة صادقا أعطى بها ولو لم تصبه » ورواه الترمذى وصححه من حديث معاذ مرفوعاً ، ولفظه : « من سأل القتل في سبيل صادق من قلبه أعطاه الله أجر الشهيد » ورواه الامام أحمد بهذا اللفظ . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ماتعدون الشهيد فيكم ؟ » قالوا : يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد ، قال : « إن شهداء أمتي إذا لقليل » قالوا : فمن هم يا رسول الله ؟ قال : « من قتل في سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات في البطن فهو شهيد ، والغريق شهيد ، ومن مات في الطاعون فهو شهيد ، ومن مات في البطن فهو شهيد ، والغريق شهيد ، - وفي رواية - وصاحب الهدم شهيد » وعن جابر بن عتيك رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : « الشهداء سبع سوي القتل في سبيل الله عز وجل ، المطعون شهيد ، والغريق شهيد ، والمبطون شهيد ، وصاحب ذات الجنب شهيد ، والذي يموت تحمت الهدم شهيد ، وصاحب الحريق شهيد ، والمرأة تموت بجمع شهيد » رواه الامام أحمد وأبو داود والنسائي . وروى ابن ماجه بعضه . - قوله بجمع بضم الجيم وإسكان اليم وهي التي تموت حاملاً أو نفساً - كذا ذكره غير واحد من أهل العلم . والله أعلم * وروى الامام أحمد والنسائي من حديث صفوان بن أمية عن النبي ﷺ قال : « الطاعون شهادة ، والغرق شهادة ، والبطن شهادة » وروى النسائي أيضا من حديث عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « خمس من قبض على شيء منهن فهو شهيد ، المقتول في سبيل الله شهيد ، والغريق في سبيل الله شهيد ، والمطعون في سبيل الله شهيد ، والفناء في سبيل الله شهيد » وروى

مالك في الموطأ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في قصة أن النبي ﷺ قال : « ماتعدون الشهادة فيكم ؟ » قالوا : القتل في سبيل الله . فقال رسول الله ﷺ : « الشهادة سبع سوي القتل في سبيل الله » ثم ذكر نحو ما تقدم في السنن من حديث جابر بن عتيك * وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « الشهداء خمس ، المطعون والمبطون ، والغريق وصاحب المدم ، والشهيد في سبيل الله » قال العلامة اسماعيل التيمي الاصبهاني : - مفسراً لهذا الحديث - قال المطعون الذي أصابه الطاعون ، والمبطون الذي أصابه علة البطن . انتهى *

وقال غيره من العلماء : للناس في تفسير علة البطن ثلاثة أقوال (أحدها) أنه الذي يموت بالاستسقاء (والثاني) الذي يموت بملغص الشديد - وهو الذي يسمونه القولنج - وهو مرض معروف (والثالث) الذي يموت بالاسهال ، انتهى كلامه * قلت : والقول الثالث هو الراجح عند أكثر أهل العلم ، وبعضهم لم يحك غيره ويحتمل والله أعلم أن الشهادة تعم الثلاثة أصناف المذكورة ، وهو أبلغ في الكرم وسعة الفضل ، والله أعلم . ومما يؤيد هذا الاحتمال ما روى ابن حبان في صحيحه من حديث سليمان بن مراد ، وخالد بن عرفطة ، أن رسول الله ﷺ قال : « من قتله بطنه لم يعذب في قبره » وعن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « من قتل دون ماله فهو شهيد » رواه البخاري . وروى أبو داود والترمذي والنسائي واللفظ له من حديث سميد بن زيد رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد » وروى النسائي منزلاً من حديث سويد بن مقرن رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قتل دون ماله فهو شهيد » وروى الامام أحمد من حديث ابن لهيعة عن خالد بن أبي زيد عن سعيد بن أبي هلال عن

ابراهيم بن عبد الله بن رفاعه ، أن أبا محمد أخبره وكان من أصحاب ابن مسعود حدثه عن رسول الله ﷺ أنه ذكر عنده الشهداء قال : « إن أكثر شهداء أمتي أصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته » * وروينا في خبر ابن عرفة مرفوعاً « الموت كفارة لكل مسلم »

﴿ فصل ﴾

ومما ينبغي أن يعلم أن العبد إذا نظر أو سمع ما تقدم في هذا الباب من تنوع الشهادة ، وذكر أمدادها ، حصل له تسليية بموت محبوبه ، فإنه في الغالب لا بد أن يكون ناله نصيب منها ، مع أني لم أحط بكل ماورد عن النبي ﷺ في تسمية الشهداء ، وقد روى مرفوعاً : « موت الغريب شهادة » وقد استقصينا في عد الشهداء في كتاب (أحكام الطاعون) ويكفي في البشارة ما تقدم قريباً من رواية الامام أحمد مرفوعاً « أن أكثر شهداء أمتي أصحاب الفرش » وتقدم ما أعد الله للشهداء من حين الموت ، وما لهم عند الله ، وأن أرواحهم في حواصل طير خضر تأكل وتشرب في الجنة ، وتمرح حيث شاءت ، وكل هذا في دار البرزخ ، فإذا دخلوا الجنة يوم القيامة بأجسادهم انتقلوا الى نعيم أعلا من ذلك وأكثر منه . قال أبو بكر القطيعي : ثنا بشر بن موسى ثنا ابن خليفة ثنا عوف عن خنساء قالت حدثتني عمي قالت قلت يا رسول الله ، من في الجنة ؟ قال : « النبي في الجنة ، والشهيد في الجنة ، والمولود في الجنة ، والمؤودة في الجنة » وكذلك رواه بن دار عن غندر عن عوف فذكر مثله . فانتقال العبد الى الله وما عند الله هو خير لعباده من هذه الدنيا التي خلقهم فيها ، فينظر كيف يعملون ، ويبتليهم بالحن والمصائب ، والشهادات حتى يعلم الصابر منهم والجازع ، ليجازي كل شخص بحسبه ، فمنهم من يجازيه بالجنان ، ومنهم من يجازيه بالنيران وكل ذلك عدل منه سبحانه وتعالى لا يظلم منقال ذرة ، بل إن أدخل العبد الجنة فبرحمته وفضله ، وإن أدخله النار فبعذله وسلطانه

(لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) فله الحمد دائماً على كل حال »

﴿ فصل ﴾

والشهادة المطلوبة شهادة المعركة على ما تقدم ، وكذلك شهادة الطاعون ، فإنه قد ورد فيها أحاديث وآثار في معنى الطاعون ، كما وقع في قصة المفيرة بن شعبة أنه قال : اللهم ارفع عنا الرجز - يعني الطاعون - فقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : أما أنا فلا أقول هذا ، ولكن أقول كما قال العبد الصالح أبو بكر الصديق رضي الله عنه : اللهم طعناً وطاعوناً في مرضاتك . وقام أبو عبيدة خطيباً فقال : يا أيها الناس إن هذا الوجع رحمة ربكم ، ودعوة نبيكم ، وموت الصالحين قبلكم ، وأن أبا عبيدة يسأل الله العظيم أن يقسم له من حظه . قال : فطعن فمات . وثبت في مسند الامام أحمد أن النبي ﷺ قال : « اللهم اجعل فناء أمتي بالطعن والطاعون » وغير ذلك من الأحاديث والآثار التي لا تحضرني وقد قررت ذلك في كتابنا المعروف بأحكام الطاعون ، ولكنه لم يكن عندي حين ألفت هذا الكتاب ، فإن قيل : الشهادة المطلوبة شهادة المعركة ، وكذلك شهادة الطاعون كما تقدم ، وقد ورد في بعض الأحاديث أن النبي ﷺ استعاذ من بعض ما عده شهادة ، ففي مسند الامام أحمد مرفوعاً ، استعاذ من سبع موتات ، من موت الفجأة ، ومن لدغ الحية ، ومن السبع ، ومن الفرق ، ومن الحرق ، ومن أن ينخر على شيء ، أو ينخر عليه شيء ، ومن الفرار من الزحف ، وفي المسند أيضاً مرفوعاً « اللهم إني أعوذ بك أن أموت همّاً أو غمّاً أو أن أموت غرقاً وأن يتخبطني الشيطان عند الموت » ورواه النسائي ولفظه « اللهم إني أعوذ بك من الهدم والنزدي والهلم (١) والغم والغرق والحرق وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبراً وأعوذ بك أن أموت لذيقاً » وغير ذلك من الأحاديث . يقال : لم يقل أحد من

(١) في الاصل « والهزم » وهو خطأ

العلماء أن كل شهادة مطلوبة ، بل من وقع له أو لمحجوبه أو لغيره شئ مما عده النبي ﷺ شهادة ، فهو شهيد ، والشهيد ثلاثة أقسام (أحدها) شهيد في الدنيا والآخرة وهو المقتول في المعركة مخلصاً (والثاني) شهيد في الدنيا فقط وهو المقتول في المعركة مرثياً (والثالث) الشهيد في الآخرة فقط وهو من أثبت له الشارع الشهادة ولم يجر عليه أحكامها في الدنيا . كالغريق والحريق ومن به ذات الجنب ونحوه كما تقدم .

فإن قيل : لم سمى الشهيد شهيداً ؟ قيل : قد اختلف العلماء في ذلك على أقوال (أحدها) لأنه حتى كما قال تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) (الثاني) لأن الله تعالى وملائكته شهدوا له بالجنة (الثالث) لأن الملائكة تشهده (الرابع) لقيامه بشهادة الحق حتى قتل (الخامس) لأنه يشهد ما أعد الله له من الكرامة بالقتل (السادس) لأنه شهد الله بالوجود والالهية بالفعل لما شهد غيره بالقول (السابع) لسقوطه بالارض وهي الشاهد له (الثامن) لأنه شهد له بوجود الجنة (التاسع) من أجل شاهده وهو دمه (العاشر) لأنه شهد له بالإيمان وحسن الخاتمة . فهذه عشرة أقوال من أماكن متفرقة جمعت اليك رخيصة الأثمان . فهذه الأقوال في المخلص الذي قصد بجهاده وجه الله تعالى ، والدار الآخرة ، فانه سبحانه وتعالى إذا علم قصد العبد وإخلاصه أعانه وأغاثه . قال تعالى : (إنا لانضيع أجر من أحسن عملاً) وقد ذكر أبو الفرج ابن الجوزي في جزء الثبات عند الممات في هذا المعنى ، عن علي بن الموفى قال : سمعت حاتم الأصم يقول : لقينا الترك وكان بيننا جولة ، فرماني تركي بسهم فقلبي عن فرسي ، فنزل عن دابته ، فقع على صدري ، وأخذ بلحيتي ، وأخرج من خفيه سكيناً ليذبني ، فوحق سيدي ما كان تلبي عنده ولا عند سكينه إنما كان تلبي عند سيدي أنظر ماذا ينزل به القضاء منه ، فقلت : سيدي قضيت على أن يذبني هذا فعلى الرأس والعين ، إنما أنا لك وملسكك ، فبينما أنا كذلك

وهو قاعد على صدرى إذ رماه بعض المسلمين بسهم فما أخطأ حلقه ، فسقط عني ،
فقلت اليه وأخذت السكين من يده فذبحته بها ، فما هو الا أن تكون قلوبكم عند
مليكم حتى تروا من عجائب لطفه مالا تروا من الآباء والامهات *

﴿ الباب الثامن والعشرون ﴾

(في ذكر الصراط ودرجات الناس في المرور عليه)

أما الصراط فهو جسر منصوب على متن جهنم ، وهو أحد من السيف وأدق
من الشعرة ، ثبتنا الله وإياكم على المرور عليه . وقد روى مسلم في صحيحه من
حديث أبي هريرة وحذيفة رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : « يجمع الله
تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون تراف لهم الجنة ، فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا
استفتح لنا الجنة ، فيقول : وهل أخرجكم من الجنة الا خطيئة أبيكم آدم ؟ لست
بصاحب ذلك ، اذهبوا الى ابني ابراهيم خليل الله قال : فيأتون ابراهيم فيقول ابراهيم
عليه السلام : لست بصاحب ذلك إنما كنت خليلا من وراء وراء ، اعمدوا الى موسى
كله الله تكليما ، فيأتون موسى فيقول : لست بصاحب ذلك ، اذهبوا الى عيسى كلمة الله
وروحه فيقول عيسى : لست بصاحب ذلك ، اذهبوا الى محمد قال : فيأتون محمدا ﷺ
ويؤذن له ويرسل الأمانة والرحم فيقومان جنبى الصراط يمينا وشمالا ، فيمر أولسكم
كالبرق يمر ويرجع في طرفة عين ، ثم كمر الريح ، ثم كمر الطير وشد الرحال (١) تجري
بهم أعمالهم ونبيكم ﷺ قائم على الصراط يقول : رب سلم رب سلم حتى تهجز أعمال
العباد وحتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير الا زحفا ، قل وفي حافتي الصراط
كلايب معاقة مأورة تأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوش في النار » والذي
نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفا * وعن أبي سعيد الخدري